

الدلالات التربوية لمفهوم الحرية في التربية الإسلامية
Educational implications of the concept of freedom
in the Islamic education

د. حميد سيف قاسم ثابت القادري

Dr. Hamid Saif Qasim Thabet Al-Qadri

أستاذ الأصول الإسلامية للتربية والمقارنة المشارك

قسم العلوم التربوية والنفسية، كلية التربية المحويت، جامعة صنعاء، اليمن

dr.alqadri2@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2025/07/15 تاريخ القبول: 2025/10/07 تاريخ النشر: 2025/11/13

ملخص:

هدفت الدراسة إلى تحديد المفهوم العلمي للحرية في التربية الإسلامية، واستنباط بعض الدلالات التربوية المتعلقة بمفهوم الحرية، وبيان الحاجة للحرية وضرورتها ومظاهرها في التربية، وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي القائم على التحليل والاستنباط، وخلصت الدراسة إلى استنتاجات عديدة، من أهمها: أن الحرية أعظم نعمة منحها الله عز وجل للإنسان بعد نعمة الإيمان والتوحيد الخالص لله تعالى، وإحدى مقاصد الشريعة الإسلامية السمحة، وأن الحرية بمفهومها التربوي الإسلامي ليست مجرد حق من الحقوق كما يفهمها بعض الناس؛ بل هي ضرورة من ضروريات الحياة، وهي تكليف شرعي واجب التنفيذ، وأن عدم الفهم والإدراك الصحيح لهذا المفهوم قد أدى إلى سيادة المفهوم الوضعي الغربي المنفلت، وما نتج عنه من امتحان لكرامة الإنسان وإنسانيته. وفي ضوء هذه النتائج فقد أوصت الدراسة بضرورة العودة إلى مصادر الوحي الإلهي عند بناء تلك المفاهيم والمضامين التربوية في مناهج التربية في الأنظمة التربوية والتعليمية، وضرورة تبني سياسات تربوية وتعليمية تشجع على التعاطي والتعامل مع مفاهيم وممارسات الحرية المنضبطة في جميع مناهج وأنشطة العملية التربوية والتعليمية.

الكلمات المفتاحية: دلالات تربوية، حرية، مفهوم حرية، تربية، تربية إسلامية

Abstract:

The study aimed to define the scientific concept of freedom in Islamic education, and to derive some educational implications related to the concept of freedom, and to demonstrate the need for freedom, its necessity and its manifestations in education. The researcher used the descriptive method based on analysis and deduction, The study concluded several conclusions, the most important of which are: that freedom is the greatest

blessing that Allah Almighty has bestowed upon man after the blessing of faith and pure monotheism for Allah Almighty, and one of the objectives of the tolerant Islamic Sharia, and that freedom in its Islamic educational concept is not just a right as some people understand it; rather, it is a necessity of life, and a legal obligation that must be implemented. In light of these results, the study recommended the necessity of returning to the sources of divine revelation when constructing these educational concepts and contents in educational curricula in educational systems,

Keywords: educational implications, freedom, concept of freedom, education, Islamic education.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله خاتم النبيين، ثم أما بعد:

إن من نعم الله تعالى على الإنسان بعد نعمة الإيمان بالله الواحد، هي نعمة الحرية، وإيقاف الظلم والتسلط والاستبداد، وتحقيق الكرامة والمساواة بين الخلق، فالإيمان بالله وحده يحقق العزة، والشعور بالاستعلاء الإيماني الذي يتجلى فيه مقام التكريم الإلهي لهذا الإنسان، اقتضاء بقوله تعالى: [وَلَا تَهْنُؤُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ] (آل عمران: 139)، فمن مقاصد عقيدة التوحيد هي تحرير لذات الإنسان، وواقعه من أشكال وصنوف التسلط والتعسف والطغيان، وتسقط كل أشكال الآلة والطواغيت وتحرر عقل الإنسان من كل صنوف الجهل والخرافات والأساطير، وتعيد له مكانته وفاعليته، وهذا من أعظم مقاصد الشريعة الإسلامية.

والتربية الإسلامية باعتبارها المسؤولة عن بناء وتنمية الإنسان، فقد جعلت من أولويات أهدافها هي تربية هذا الإنسان على الشعور بالمسؤولية وتحمل عبء الواجب وتأديته بكفاءة ونفس راضية، فالتكليف والمسؤولية دون رعاية الحرية يعد أمراً مستقبلاً؛ لأن الإنسان في البيئة الصالحة يكتسب العمل الصالح، وفي البيئة المسودة بالعدل والحرية يصبح حراً وقادراً على تحمل المسؤولية، وهذا يتطلب تعزيز قيمة الحرية، وتعميق ملكة الاختيار لدى الإنسان، حتى يصبح التفاضل والكرامة اختياريًا، فالأكرم هو الأتقى، الذي حدده النص القرآني، بقوله تعالى: [يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ] (الحجرات: 13).

لذلك تعد التربية الإسلامية خط الدفاع الأول أمام تلك التحديات والمخاطر الناتجة عن سوء فهم المبادئ والقيم التي تتعلق بكيونة الإنسان، التي في مقدمتها الحرية، وذلك نظرًا لتطور الحياة وتعقدها،

وكثرة التبدلات والتغيرات السريعة فيها، حتى سادت حالة من الغموض لمفهوم الحرية، وظهور حالة من التضاد وعدم الانسجام بين قيمة الحرية والشعور بالمسؤولية.

الدراسات السابقة:

بداية يمكن التأكيد - بحسب حدود اطلاع وعلم الباحث - على أن هناك العديد من الدراسات العلمية المتعلقة بموضوع الحرية، إلا أن الباحث لم يقف على أي مؤلف، أو بحث أو رسالة علمية تحمل نفس هذا العنوان، وتتضمن الأهداف نفسها التي تسعى هذه الدراسة إلى تحقيقها، حيث إن الدراسات السابقة كانت في معظمها دراسات تتناول موضوع الحرية في الإسلام بشكل عام، أو بأحد جزئيات موضوع الحرية في التربية الإسلامية، وهذا ما سيتبين من خلال عرض نماذج من تلك الدراسات السابقة التي وقعت بين يدي الباحث، وذلك على النحو الآتي:

دراسة الخميس (2023)،⁽¹⁾ بعنوان "الحرية وتطبيقاتها التربوية بين أفلاطون وروسو"، وهدفت الدراسة إلى كشف الحرية وتطبيقاتها التربوية بين أفلاطون وروسو ومقارنتها مع أحد المفكرين الإسلاميين وهو الغزالي، والتعرف على الفروق الجوهرية بين أفلاطون وروسو والغزالي، وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي، وقد خلصت الدراسة إلى نتائج عديدة، من أهمها: يوجد اختلاف في الحرية عند أفلاطون وروسو والغزالي، كما أن البيئة لها دور في التأثير سواء عند أفلاطون لارتباطها بالخير أم عند روسو لارتباطها بالطبيعة، وأن البيئة لها تأثير على مفهوم الحرية عند روسو وأفلاطون.

دراسة الغامدي (2021)،⁽²⁾ بعنوان "مفهوم الحرية الشخصية لدى طالبات جامعة أم القرى في ضوء المتغيرات المعاصرة"، وهدفت الدراسة إلى بيان مفهوم الحرية الشخصية من منظور التربية الإسلامية، واستعراض أبرز المتغيرات المعاصرة في المجال الفكري، والاجتماعي، والاقتصادي، والكشف عن الفروق ذات الدلالة الإحصائية بين طالبات جامعة أم القرى حول مفهوم الحرية الشخصية وفق متغيراتهم الديموغرافية، واستخدم المنهج الوصفي المسحي، والاستبانة كأداة لجمع المعلومات من عينة الدراسة التي تكونت من (245) طالبة من جامعة أم القرى، خلال العام 1441هـ، وقد خلصت الدراسة إلى نتائج عديدة، من أهمها: أن تقديرات مفردات عينة البحث لأثر المتغيرات (الفكرية، والاجتماعية، والاقتصادية) على مفهوم الحرية الشخصية لدى طالبات جامعة أم القرى قد جاءت بدرجة متوسطة، وأن هناك فروق دالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) بين متوسطات تقديرات مفردات عينة البحث لأثر المتغيرات (الاجتماعية) على مفهوم الحرية الشخصية لدى طالبات جامعة أم القرى تعزى لمتغير نوع التخصص.

دراسة بلق (2019)،⁽³⁾ بعنوان "مفهوم الحرية في الفكر الإسلامي"، وهدفت الدراسة إلى التعرف على مفهوم الحرية في الفكر الإسلامي، واختلاف هذا المفهوم وتطوره عبر العصور، خاصة في الفكر اليوناني، وقد استخدمت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي والمنهج المقارن، وخصلت الدراسة إلى نتائج عديدة، من أهمها: أن مفهوم الحرية يختلف باختلاف العصور والمجتمعات، وأنه لا يوجد تعريف موحد للحرية في الفكر اليوناني، وأن مفهوم الحرية في الفكر الإسلامي، مفهوم موحد ومضبوط بضوابط الشريعة الإسلامية، وأن القرآن الكريم والسنة النبوية قد اشتملا على توضيح كامل لمفهوم الحرية في كل المجالات الدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها من مجالات الحياة.

دراسة ابن حديد، وإلغات (2018)،⁽⁴⁾ بعنوان "الحرية الدينية في الإسلام مصادرها ومبادئها"، وهدفت الدراسة إلى التعرف بالحرية الدينية في الشريعة الإسلامية، وبيان مفهومها، ومصادرها، والمبادئ التي تقوم عليها، وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي، وخصلت الدراسة إلى نتائج عديدة، من أهمها: أن الحرية الدينية تعني حرية الفرد في اعتناق ديانة معينة بعيداً عن كل وسائل الإكراه، وممارسة الشعائر الدينية المتعلقة بتلك الديانة في السر والعلن في حدود الآداب والنظام العام، وأن الحرية الدينية التي كفلها الإسلام قد نتج عنها انتشار التسامح الديني مع غير المسلمين داخل الدولة الإسلامية، وأن مبدأ لا إكراه في الدين هو من أهم المبادئ التي تقوم عليها الحرية الدينية في الإسلام.

دراسة كيري (2017)،⁽⁵⁾ بعنوان "مبدأ الحرية بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية"، وهدفت الدراسة إلى التعرف على طبيعة مفهوم مبدأ الحرية في الشريعة الإسلامية، والقوانين الوضعية، وقد استخدمت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي، وخصلت الدراسة إلى نتائج عديدة، من أهمها: أن مفهوم الحرية مفهوم نسبي يختلف باختلاف مصدر تحديد هذا المفهوم، وأن مبدأ الحرية في ظل النظام الفردي (النظام الحر)، مبدأ يكاد يكون مطلقاً، خاصة في مجالات الممتلكات الخاصة، في حين أن هذا المبدأ يكاد يكون ضيقاً في النظام الاشتراكي، وأن النظام الإسلامي بحكم وسطيته قدس هذا المبدأ في إطار ضوابط شرعية تحافظ على كيان المجتمع وأمنه؛ بل تعزز مكانة ممارسة هذا المبدأ، وأن القوانين الوضعية لم تراعى هذه الضوابط إلا بعد تصادم المصالح الفردية والمقاصد الاجتماعية.

دراسة الترهوني والعبار (2015)،⁽⁶⁾ بعنوان "مفهوم الحرية الأكاديمية ومظاهر ممارستها من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس بجامعة بني غازي"، وهدفت الدراسة إلى معرفة مفاهيم الحرية الأكاديمية الأكثر شيوعاً لدى أعضاء هيئة التدريس في جامعة بني غازي، وتحديد مستوى الحقوق الأكاديمية والالتزام بالواجبات المهنية، ودلالة العلاقة بين هذين المتغيرين من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس بالجامعة، وقد استخدم الباحثان المنهج الوصفي المسحي، والاستبانة كأداة لجمع المعلومات من عينة الدراسة التي تكونت من (215) عضو هيئة تدريس لبيبي خلال العام الجامعي 2013-2014، وقد

خلصت الدراسة إلى نتائج عديدة، من أهمها: أن جميع مفاهيم الحرية الأكاديمية الواردة في الأداة القياس حظيت بموافقة وقبول أعضاء هيئة التدريس في الجامعة، وأن هناك ارتفاع في مستوى ممارستهم لحقوقهم الأكاديمية في مجالات البحث العلمي، وحرية التعبير، والحرية في التدريس الجامعي، والمشاركة في صناعة القرار الأكاديمي.

دراسة الزاعي (2011)،⁽⁷⁾ بعنوان "الحرية من منظور التربية الإسلامية والفلسفة البراغماتية" وهدفت الدراسة إلى التعرف على مفهوم الحرية في التربية الإسلامية والفلسفة البراغماتية، من حيث الأسس والضوابط والمجالات، دراسة مقارنة، وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي، وخلصت الدراسة إلى نتائج عديدة، من أهمها: أن البحث في مفهوم الحرية من أعقد الموضوعات من ناحية المفاهيم المراد دراستها، فتعقيدها ينبع من حجم تاريخها، وأن الإسلام جاء لتحرير البشرية من رق الخرافة، ورق الاستعباد، فحرر عقولهم قبل أن يحرر أجسادهم، وأن الفلسفة البراغماتية بمفهومها للحرية قد بعثت الأمل في التغيير، وعدم الكسل والخمول، وأن الحرية هي الأصل، والاستعباد هو الطارئ عليها والمصادر لها، وأن الإسلام أطلق للإنسان الحرية؛ إلا أنه جعل لها ضوابط لحمايته والمحافظة عليه.

دراسة الزحيلي (2011)،⁽⁸⁾ بعنوان "الحرية الدينية في الشريعة الإسلامية"، وهدفت الدراسة إلى التعرف على مفهوم الحرية في الشريعة الإسلامية، وبيان أبعادها وضوابطها، وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي، وخلصت الدراسة إلى نتائج عديدة، من أهمها: أن الدين الإسلامي هو وضع إلهي يرشد إلى الحق في الاعتقادات، وإلى الخير في السلوك والمعاملات، وأن الحرية هي الملكة الخاصة التي تميز الكائن الناطق عن غيره، وتمنحه السلطة في التصرف في الأفعال عن إرادة وروية، دون إجبار أو إكراه أو قسر خارجي، وأن الحرية الدينية أهم حقوق الإنسان بعد حق الحياة، إن لم تسبقها وتفوق عليها؛ لأن الدين أحد الضروريات الخمس، وهو أهم الضروريات، ويقدم في الشرع على حق الحياة؛ لذلك شرع الإسلام حماية العقيدة وحرية الدين، وأن الحرية الدينية مرتبطة بالعقل والفكر، وحرية الإرادة والاختيار، والقناعة الشخصية للإنسان؛ لأن الدين ينبع من القلب، ولا سلطان لأحد عليه إلا الله تعالى.

أوجه الاتفاق والاختلاف مع الدراسات السابقة:

اتفقت الدراسات السابقة مع هذه الدراسة في بعض جوانب مفهوم الحرية، و-أيضاً- في نوع المنهج المستخدم في الدراسة، باستثناء دراسة الغامدي (2021) الميدانية، فقد استخدمت المنهج الوصفي المسحي، وقد استفاد الباحث من هذه الدراسات السابقة في تحديد مشكلة الدراسة وتسؤلاتها، وأهدافها؛ مما يؤدي إلى تحقيق تكامل البناء المعرفي بين هذه الدراسة والدراسات السابقة في إبراز وأبعاد طبيعة الحرية في مختلف الميادين والمجالات العلمية والمعرفية.

اختلفت الدراسات السابقة مع هذه الدراسة في الحدود الموضوعية للدراسة، فهذه الدراسة موضوع بحثها الدلالات التربوية لمفهوم الحرية في التربية الإسلامية، وطبيعة أهداف هذه الدراسة تختلف عن أهداف الدراسات السابقة، والتي تقوم بالأساس على فهم تلك الدلالات التربوية لمفهوم الحرية في التربية الإسلامية بجميع أبعادها.

مشكلة الدراسة:

إن أزمة الحرية في العالم تعد من أشد الأزمات التي تؤثر في بناء الإنسان، وحضارة المجتمعات ففي المجتمعات الغربية التي تدعي أنها مجتمعات متحررة، وتنتهج فلسفات تربوية تمجد قيم الحرية؛ بل وتغزو البلدان بدعوى نشر قيم الحرية، نجد أنها قد وصلت بالإنسان إلى مستوى أقل من مستوى الحيوان، حيث مظاهر التحلل والانحلال الأخلاقي، والتعري الجسدي، والسفور والمجون، وغيرها من السلوكيات التي تؤكد حالة الامتهان لكرامة الإنسان وانتكاس الفطرة الإنسانية.

وفي المجتمعات العربية والإسلامية التي تدعي هي الأخرى أنها تولي أهمية لقيمة الحرية، وتحفظ كرامة الإنسانية، نجد أن مظاهر الظلم والتسلط والاستبداد والتعسف والقمع هي السائدة في هذه المجتمعات،⁽⁹⁾ حتى طال مؤسسات التربية والتعليم، وأصبحت قيمة الحرية مجرد عناوين لموضوعات تدرس بين ثنايا تلك المناهج التربوية دون أن يكون لها الأثر الإيجابي في سلوك المتعلم، وواقع الحياة، حيث إن السمة الغالبة للتربية في هذه المؤسسات هي التسلط والاستبداد،⁽¹⁰⁾ بدعوى الحفاظ على استقامة سلوك المتعلم؛ لأن الحرية في نظر هذه المؤسسات التربوية تعني الانحلال والتحلل من الدين، والأعراف والتقاليد الاجتماعية السائدة في المجتمع.

إن هذه الحالة الثنائية المتناقضة في فهم قيمة الحرية وضرورتها في بناء وتنمية الإنسان في مؤسسات التربية، ينذر بهلال الإنسان، ومن ثم المجتمع، فحالة الفلتان بدعوى الحرية يعني فوضى وانهيار إيماني وأخلاقي، وحالة القمع والتسلط بدعوى حماية الدين والأخلاق والأعراف والتقاليد يعني إلغاء قيمة الإنسان ودوره وفاعليته في الحياة؛ لذا فإن "تحقيق قيمة الحرية واسترداد إنسانية الإنسان، وإيقاف التسلط والظلم هو بالنسبة للمسلم دين وعقيدة ومسؤولية وتكليف شرعي، والعمل على إشاعتها ونشرها في الحياة بعد تحقيقها في ذاته، هو رسالته في هذه الحياة وإحدى عباداته الكبرى"⁽¹¹⁾، وهذا يستلزم من التربية الإسلامية ومؤسساتها التربوية إعادة فهم قيمة الحرية، وأبعادها التربوية من خلال مفهومها التربوي الإسلامي السليم.

وبناء على ما تم ذكره فإن هذه الدراسة تعد محاولة علمية لإعادة بناء وتنمية الفرد المسلم من خلال إعادة بناء مفاهيم التربية الإسلامية الأصيلة في فكر ووجدان هذا المتعلم، وفي مقدمتها مفهوم

الحرية بكل أبعادها التربوية، وذلك في ضوء المنهج الإسلامي، بحيث يكون لبنة مهمة من لبنات بناء هذه الأمة، وعنصرًا فاعلاً فيها كما أراد الله Y أن يكون خليفته في أرضه.

تساؤلات الدراسة:

بناء على ما سبق ذكره؛ فإن هذه الدراسة تنطلق من خلال الإجابة عن سؤالها الرئيس الذي يمكن صياغته على النحو الآتي:

ما الدلالات التربوية لمفهوم الحرية في التربية الإسلامية؟ وللإجابة عن هذا التساؤل فإن الأمر يتطلب الإجابة عن التساؤلات الفرعية الآتية:

- ما مفهوم الحرية في التربية الإسلامية؟
- ما مدى الحاجة والضرورة للحرية في التربية الإسلامية؟
- ما هي ضوابط وحدود الحرية في التربية الإسلامية؟
- ما هي أهم مظاهر الحرية في التربية الإسلامية؟

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى تحقيق الآتي:

- تحديد المفهوم العلمي للحرية من منظور التربية الإسلامية.
- إبراز مدى الحاجة والضرورة للحرية في التربية الإسلامية.
- بيان أهم ضوابط وحدود الحرية في التربية الإسلامية.
- إبراز أهم مظاهر الحرية في التربية الإسلامية.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في الآتي:

1. محاولتها الجادة في تأصيل المفهوم العلمي والتربوي للحرية، باعتبارها نعمة عظيمة من الله Y بها على هذا الإنسان بعد نعمة الإيمان وعقيدة التوحيد، وأنها من ضروريات الحياة.
2. مساهمتها في تجديد عملية بناء وتنمية الإنسان من خلال تبني تربية إسلامية أصيلة تعيد إليه فاعليته وحرية، وتخلصه من العبودية بكل أنواعها، وتحرير عقله وضميره نفسه، وربطه بالخالق Y القادر على حمايته ممن قد يظلمه ويمتهن كرامته.
3. مساهمتها في عملية التأصيل الإسلامي للعلوم والمعارف، وفي مقدمتها تأصيل تلك المفاهيم التربوية التي يعتقد بعض الناس -جهلاً- أنها من منجزات الفلسفات التربوية الغربية، ونتاج الفكر الغربي وفلسفته المادية، وأن العرب ليس لهم أي تراث في هذا الموضوع.

4. مساهمتها في توجيه القائمين على تربية الفرد المسلم إلى ضرورة توفير البيئة والمناخ التربوي الذي يساعد على تكوين المفهوم الإيجابي لقيمة الحرية في فكر وسلوك المتعلم، بحث تجعله أكثر شعورًا بقيمة الحرية، وتحمل المسؤولية في آن واحد.
5. مساهمتها في تبصير القائمين على تربية الفرد المسلم إلى خطورة تبني ذلك المفهوم الغربي المنفلت لقيمة الحرية، الذي يهدر كرامته الإنسانية، ويحط من قدره ومنزلته عند الله Y أولاً، ثم عند مجتمعه ثانيًا.
6. إثراء المكتبة التربوية الإسلامية بالموضوعات العلمية ذات طابع التوجيه في تأصيل مفاهيم ومضامين العملية التربوية والتعليمية.
7. فتح الآفاق لأبحاث يقوم بها فريق من الباحثين لفهم وتأصيل الموضوعات التربوية المتعلقة بقيمة الحرية ببعدها التربوي.

حدود الدراسة:

تكمن حدود الدراسة في الحدود الموضوعية، التي هي: الدلالات التربوية لمفهوم الحرية في التربية الإسلامية.

مصطلحات الدراسة:

- **الدلالات التربوية:** ويقصد بها هنا، أنها: مجموعة من الأفكار والإرشادات والتوجيهات والخبرات التربوية التي استنبطها الباحث من خلال بعض النصوص الشرعية المتعلقة بمفهوم الحرية، الخبرات التربوية، والتي تساهم في صياغة المنهج التربوي الإسلامي اللازم لبناء وتنمية الإنسان الذي أراد الله Y أن يكون خليفته في أرضه.
- **المفهوم:** ويقصد به هنا، أنه: إدراك ومعرفة المعنى العلمي العام والمنضبط لمصطلح الحرية، وما يندرج من تحته من المرادفات والمعاني ذات البعد التربوي.
- **الحرية:** ويقصد بها هنا، أنها: أجلُّ نعمة منحها الله Y للإنسان بعد نعمة الإيمان، التي تمنحه القدرة على أداء أعماله ومسؤولياته، وإشباع حاجاته ورغباته، وفعل ما يشاء دون مانع يمنعه عن السعي والحركة، أو يسلبه قدرته وإرادته، أو يجبره في تعلّمه، حال خضوعه لمنهج الله أثناء سيره في الحياة.
- **التربية الإسلامية:** ويقصد بها هنا، أنها: عملية إعداد الإنسان الصالح المصلح من خلال بناء جميع جوانبه المتعددة: الإيمانية والروحية والأخلاقية والاجتماعية والنفسية والعقلية

والجسمية، بناءً شاملاً كاملاً ومتوازناً؛ وذلك وفق منهج الله المتمثل في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

منهجية الدراسة وإجراءاتها:

نظراً لأن هذه الدراسة نظرية فقد استخدم الباحث في دراسته هذه المنهج الوصفي (الوثائقي)، الذي "يعني الجمع المتأني والدقيق للوثائق المتوافرة عن مشكلة البحث، ومن ثم القيام بتحليلها تحليلًا يستطيع الباحث بموجبه استنتاج ما يتصل بمشكل البحث من نتائج" (12)، ومن هنا فإن الباحث سيقوم بجمع الوثائق والدراسات، ونصوص الأدب التربوي المتعلقة بموضوع الحرية والتربية، ثم بعد ذلك القيام بتحليل هذا الأدب التربوي، وتفسيره من أجل الإجابة عن الأسئلة المطروحة، ومن ثم تحقيق الأهداف المعلنة في هذه الدراسة.

نتائج الدراسة ومناقشتها (عرض المباحث والمطالب لمحتوى الدراسة):

وفي سبيل الإجابة عن تساؤلات الدراسة، وكيفية تحقيق أهدافها؛ فإن هذه الدراسة ستناقش ذلك في ضوء المباحث والمطالب الآتية:

المبحث الأول: مفهوم الحرية في التربية الإسلامية

تعد الحرية من المصطلحات الأكثر وضوحاً وغموضاً وتعقيداً وتشتتاً في آن واحد، فلها في كل فلسفة مفهوم، وفي كل معتقد ودين مدلول، ولها في التربية الإسلامية أرقى مفهوم وأعمق مضمون؛ لأنه مفهوم يقوم على معيار الشمول والتكامل والاتساق، وهذا ما سيتبين من خلال النقاط الآتية:

المطلب الأول: مفاهيم الحرية السائدة في التربية:

قد يكون من المفيد قبل الولوج في توضيح المفهوم التربوي الإسلامي للحرية أن نبداً -ولو بشكل مختصر وسريع- في تسليط الضوء على مجمل مفاهيم الحرية السائدة في تربية الفرد بشكل عام، باعتبار ذلك نقطة الانطلاق لتحديد اتجاه بوصلة الحرية نحو المفهوم العلمي المعياري السليم للحرية الذي تتبناه التربية الإسلامية، وذلك على النحو الآتي:

الفرع الأول: المفهوم الوضعي المنفلت:

وهذا المفهوم للحرية هو الذي تأصله وتغذيه معظم الفلسفات التربوية الوضعية الغربية المعاصرة في تربيتها للفرد، كالفلسفة التربوية الطبيعية، وأصحاب القانون الطبيعي (13)، والفلسفة البراغماتية والوجودية، وغيرها من الفلسفات الوضعية التي تقدس الفرد، وتعلي من شأنه، حتى جعلته يعتقد أن له

الحق في فعل أي شيء يرغب بفعله دون مانع من أحد، ولا يحق لأحد التدخل بذلك؛ بل "زعمت تلك الفلسفات أن الإنسان هو مقاييس الحق والخير والجمال؛ فهو صانع وجوده ورب أفعاله" (14)، "وما الإنسان إلا ما يصنع نفسه، وما يريد لنفسه، وما يتصور لنفسه بعد الوجود، وهو وحده خالق قيمه، ومعانيه تلك" (15)، حتى نادت "صراحة بإعلان "موت الإله" واختفاء المرجعية العليا للأخلاق والقيم والحق والباطل" (16)، (17).

إن هذا المفهوم المنفصل للحرية هو مدخل الفتن والفوضى، والاضطرابات والأزمات، والذي سيؤدي حتمًا إلى تعرض الفرد والمجتمع إلى الخطر، -كما يشاهد اليوم في واقع العالم- فقد أوصل بالإنسان إلى أن يخرج عن فطرته الإنسانية، فأصبح كالحيوان؛ بل هو أضل من الحيوان عندما ينساق وراء إشباع ميوله ورغباته وشهواته دون قيد أو ضابط، ودون مراعاة لمبدأ، أو قيم دينية، أو أخلاقية، أو إنسانية، اقتضاء بقوله تعالى: [أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا] (الفرقان: 44)، حتى وصل به إلى حالة من الضياع، والتشيع الغرائزي الذي قد يدفعه إلى الانتحار.

الفرع الثاني: المفهوم المعياري العلمي المنضبط:

وهذا المفهوم للحرية هو الذي تأصله التربية الإسلامية في تربيتهما للإنسان كما أراده الله Y في ذلك، والذي يبني على تعاليم الدين الإسلامي القويم، مفهوم قائم على التوازن بين مطالب الحرية ومطالب المسؤولية، فيكون فيه الإنسان حر في تحقيق حاجاته المشروعة والقانونية والعقلانية دون أي حد لذلك، أو تدخل من شخص أو جهة، (18)، وهو ما سنبينه لاحقًا في المطلب الثاني.

الفرع الثالث: المفهوم المترف المستبد:

وهو المفهوم الأناني المحض للحرية الذي يتعاطاه المترفون من المستبدين والمستكبرين وجميع طواغيت الأرض الذين يفهمون الحرية بأنها الحق الذي يمنحهم الفرصة لإشباع رغباتهم وشهواتهم، والوصول إلى أغراضهم الدنيوية الخاصة، ولو كان ذلك على حساب الدين، وحقوق الأفراد في المجتمع، اقتضاء بقوله تعالى: [وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا] (الأحزاب: 67). وهذا الصنف من مفاهيم الحرية هو السائد في واقع الأمة المسلمة على وجه الخصوص، فهو مفهوم أنتج معظم مظاهر الظلم والقهر، والتخلف، وسحق كرامة الإنسان، (19) وأوصل الأمة إلى حالة تستحق عليها السخط والغضب من الله Y، الذي يؤدي بالفرد والمجتمع إلى الهلاك والزوال، اقتضاء بقوله تعالى: [وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْنَا الْقَوْلُ فَنَدْمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا] (الإسراء: 16)،

المطلب الثاني: المفهوم التربوي الإسلامي للحرية:

في هذا المطلب سيتم التركيز على توضيح المفهوم التربوي الإسلامي للحرية، بحيث يحق وصفه بالعلمية، وبأنه مفهوم علمي دقيق، معياري التطبيق، وذلك على النحو الآتي:

الفرع الأول: تعريف الحرية لغة:

الحرية هي مصدر من الفعل "حرر"، "فالحاء والراء في المضاعف له أصلان: الأول: ما خالف العبودية، وبرئ من العيب والنقص، ... والثاني: خلاف البرد" (20)، وَحَرَ يَحْرُ حُرًّا إِذَا عَتَقَ، وَحَرُّ يَحْرُ، حُرِّيَّةً، من حُرِّيَّةِ الأَصْل وقال آخرون: إِنَّ الحرية مصدر من حَرَ يَحْرُ إِذَا صَارَ حُرًّا والاسم الحرية، والحُرُّ بالضم نقيض العبد، والجمع أحرارٌ وحرارٌ، والحُرَّةُ نقيض الأمة، والجمع حرائر ويقال حَرَرُهُ أَي أَعْتَقَهُ، والمُحَرَّرُ أَي المُعْتَق (21).

وبناء على ما سبق ذكره يمكن القول بأن كلمة الحرية تدور حول معاني: السلامة والخلوص من الرق والعبودية، أو العيوب أو النقائص والصفات الذميمة، فكان الجمال خلوص من القبح، والكرم خلوص من البخل، والرقه خلوص من الخشونة.

الفرع الثاني: الحرية في القرآن الكريم:

إن المتأمل في القرآن الكريم، يجد أن لمفردة الحرية كثيرًا من الألفاظ والمرادفات، والمقابلات التي تضمنتها ما قد يربو عن مائة وخمسين آية، (22)، التي يمكن أن نستنتج منها المعلومات الآتية: أولاً: أن الحرية تدور حول ثلاثة ألفاظ هي:

● لفظ "تحرير": ورد في ستة مواضع، منها قول الله تعالى: [وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٌ] (النساء: جزء من الآية 92).

● لفظ "محرراً": وورد مرة واحدة، في قوله تعالى: [إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا] (آل عمران: جزء من الآية 35).

● لفظ "الحر": وورد مرتين، في قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَى بِالْأُنثَى [البقرة: جزء من الآية 178].

ثانياً: أن هناك مرادفات في القرآن الكريم:

وهذا المفردات تدل على معنى الحرية وأهميتها وقيمتها، وإن لم يستخدم فيها لفظ الحرية، مثل: فك الرقبة، كما في قوله تعالى: [فَكَ رَقَبَةً] (البلد: 13)، ونفي الإكراه، كما في قوله تعالى: [لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ] (البقرة: جزء من الآية 256)، والتخيير، كما في قوله تعالى: [لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ] (الكافرون: 6).

ثالثاً: أن هناك مقابلات الحرية:

وهي تلك المقابلات التي يستدل بها على أهمية الحرية وقيمتها، وإن لم توجد مفردة الحرية فيها، مثل: الطغيان، الإكراه، الإفساد في الأرض، الاستخفاف بالقوم، الاستكبار في الأرض، العلو، الظلم، وغيرها من المقابلات، فكلها تشتبك في تقييد حرية الإنسان، والغلبة عليه، وتجاوز الحد في التعامل معه. رابعًا: أن مفردة الحرية قد وردت في القرآن المكي والمدني، بما يشعر بأن معناها مقصود ومراد في كل مراحل الدعوة، مما يدل على عناية الشارع بترسيخها وإعلاء من مكانتها على مدار الدعوة والدولة على حد سواء.

خامسًا: أن القرآن الكريم قد جعل الحرية مقابل الموت:

فقد قيم القرآن الكريم الحر كالحَي، وغيره بالميت؛ لأن الحياة الحقيقية لا تكون إلا مع الحرية الحقيقية، ولذلك فقد جعل الله Y كفارة القتل الخطأ تحرير رقبة، وهذا فيه إشارة إلى قيمة الحرية وإعلاء مكانتها، كما في قوله تعالى: [وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطْئًا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ] (النساء: جزء من الآية 92)؛ وأن السبب في ذلك "لما أخرج نفسًا مؤمنة من جملة الأحياء لزمه أن يدخل نفسًا مثلها في جملة الأحرار؛ لأن إطلاقها من قيد الرق كإحيائها، من قبل أن الرقيق ملحق بالأموات، إذ الرق أثر من آثار الكفر، والكفر موت حكمًا، [أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأُحْيِيْنَاهُ] (الأنعام: 122) (23).

الفرع الثالث: تعريف الحرية اصطلاحًا:

قد تكون كلمة "الحرية" من أكثر المصطلحات تعقيدًا في إيجاد تعريف محدد لها؛ وذلك لأسباب عديدة، من أهمها: تعلقها بالفرد والمجتمع والطبيعة الإنسانية، والعلاقات التي تحكم هذه العناصر ولذا سيقصر الباحث على تناول بعض التعريفات ذات الصبغة الإسلامية، والتي نذكر منها الآتي:

* الحرية هي: "ضرورة من ضروريات الإنسانية، وفريضة إلهية، وتكليف شرعي واجب.. وليست مجرد "حق" من الحقوق، يجوز لصاحبها أن يتنازل عنها إن هو أراد!" (24).

* الحرية هي: "تلك الملكية الخاصة التي يتمتع بها كل إنسان من حيث هو كائن موجود عاقل، يصدر أفعاله تبعًا لإرادته، لا عن إرادة غريبة عنه، وهي انعدام القسر الخارجي، والإنسان الحر بهذا المعنى هو من لم يكن عبدًا أو أسيرًا" (25).

* الحرية هي: "إرادة الإنسان وقدرته على ألا يكون عبدًا لغير الله" (26).

* الحرية هي: "أن يفعل الإنسان ما يعتقد أنه مكلف به، وما فيه الخير لصالح البشر أجمعين" (27).

* الحرية هي: "أن تتعبد للخالق باختيارك، وألا تستعبدك الخلق في ظاهرك وباطنك" (28).

* الحرية هي: "المكنة العامة التي قررها الشارع للأفراد على السواء، بحيث تجعلهم قادرين على أداء واجباتهم واستيفاء حقوقهم، واختيار ما يجلب المنفعة ودرأ ما يجلب المفسدة دون إلحاق الضرر بالآخرين" (29).

وبناء على ما سبق بيانه، يمكن القول بأن الحرية بمفهومها التربوي الإسلامي هي: أعظم نعمة منحها الله Y لهذا الإنسان -بعد نعمة الإيمان- التي فطره عليها منذ ولادته يتصرف فيها، بحيث لا يضر نفسه، ولا يضر الآخرين، وأنها كانت ومازالت هي القيمة الإنسانية الأبرز التي يتشوق إليها كل إنسان على وجه الأرض، وعبر مراحل التاريخ الإنساني، وقد قدمت البشرية، وفي مقدمتهم الأنبياء والقادة المصلحين التضحيات من أجلها؛ لأنهم يدركون أنه لا معنى لإنسانيتهم من دونها، وأنها نعمة الله Y عليهم، وأنها أسعى مقتضيات الإيمان والعقيدة الصحيحة لديهم.

المبحث الثاني: الحاجة والضرورة للحرية في التربية الإسلامية

بناء على ما تقدم بيانه لمفهوم الحرية في التربية الإسلامية فإنه يتضح مدى الحاجة والضرورة التربوية لهذه القيمة والمنحة الإلهية في بناء الإنسان وتنميته، وفق الحدود والضوابط التي تضمنها منهج الله Y في ذلك، التي يمكن بيانها على النحو الآتي:

المطلب الأول: الحاجة للحرية وضرورتها في التربية

قد يكون التساؤل عن مدى الحاجة والضرورة للحرية في التربية من الأمور التي تدعو للدهشة والحيرة؛ لأنه ينم على نوع من القصور في فهم العلاقة بين الحرية والتربية ومدى تلازمهما، لكن في واقع الأمر هناك غياب شبه تام لهذه العلاقة؛ مما يجعل مناقشة الحاجة للحرية وضرورتها في التربية أمراً ضرورياً، كما سيتبين على النحو الآتي:

الفرع الأول: أسس الحاجة للحرية في التربية:

إن الحديث عن الحاجة للحرية في التربية الإسلامية يعني الغوص في تلك الطبيعة الإنسانية التي خلقها في أحسن تقويم والأسس المهمة والمعتبرة التي بينها منهج الإسلام لفهم تلك الطبيعة الإنسانية، التي نذكر من أهمها الآتي:

أولاً: كينونة الإنسان:

فقد خلق الله I هذا الإنسان وجعله مكرماً على سائر المخلوقات، حيث يقول الله تعالى: [وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا] (الإسراء: 70)، وأن هذا التكريم الإلهي مرتبط بما منحه من حرية الاختيار، والقدرة على الأداء، وأن مناط هذا الاختيار هو العقل، حيث يقول الله تعالى: [إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

وَالْجِبَالِ فَأَيُّنَ أَنْ يَحْمِلَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا [الأحزاب: 72]، ولذلك تصبح الحرية حقًا طبيعيًا لكل إنسان، وشرطًا لرشده وتفاعله، وتربيته وبنائه، وأنه لا يتصور أن يكون للإنسان كينونة في هذه الحياة من دون حرية، وإن كانت فهي أشبه بحياة الحيوان، الذين قال الله عنهم: [أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا] (الفرقان: 44).

ثانيًا: التكليف الإلهي للإنسان:

فقد ربط الإسلام بين حرية الإنسان والتكاليف والمسؤوليات الملقاة على عاتقه، حيث جعل جميع تلك التكاليف الشرعية، بما فيها الإيمان بالله، مرتبطة بحرية الإنسان وقدرته وإرادته في الاختيار، حيث يقول الله تعالى: [لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ] (البقرة: 256)، وأنه لا قيمة لتلك التكاليف الشرعية، ولا معنى لها؛ بل ولا قبول لها عند الله Y من دون حرية اختيار وقدرة في التنفيذ والأداء، لذلك كانت الحرية هي أحد أهم شروط صحة تلك التكاليف الشرعية.

ثالثًا: مبدأ الثواب والعقاب:

وهذا مرتبط بما سبق، حيث إن مبدأ الثواب والعقاب في الإسلام مرتبط بالحرية، فكي تصبح تكل الأفعال والتصرفات التي يقوم بها الإنسان منتجة لآثارها لابد أن تكون لديه حرية الاختيار والقدرة على الفعل حال قيامه بتلك الأفعال والتصرفات، فإذا كانت تلك الأفعال والتصرفات مشينة وغير مشروعة، وفعلها مكرهاً مثلاً، أو ناسياً أو مخطئاً لم يترتب عليه حكم، ولن يتخذ ضده إجراء، والعكس حال فعلها وهو مختار ويملك القدرة على الاختيار، ففي هذه الحالة يتخذ ضده حكماً وإجراءً مناسباً لفعله وتصرفه، وفي هذا يقول النبي P: ((إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَضَعَ عَنِ أُمَّتِي الْخَطَأَ، وَالنِّسْيَانَ، وَمَا اسْتَكْرَهَا عَلَيْهِ))⁽³⁰⁾.

الفرع الثاني: ضرورة الحرية في التربية:

لقد سبق وأن أشر إلى أن الحرية هي ضرورة من ضروريات الحياة، وأنها تكليف شرعي قبل أن تكون حق من الحقوق، مما يجعل الحديث عن ضرورتها في التربية أمراً مشروعاً وضرورياً -أيضاً-، حيث إن التربية لن تحقق أهدافها، ولن يكون لها فاعلية في بناء وتنمية الإنسان كما أراده الله تعالى أن يكون خليفته في أرضه إلا من خلال توفر مناخ وبيئة تسودها مبدأ وقيمة الحرية بكل أبعادها وجوانبها ومظاهرها، وهذا يستلزم فهم وإدراك لتلك الآثار التي تركها الحرية في البيئة التربوية والتعليمية، التي نوجزها بالآتي:

أولاً: أنها حاجة فطرية:

فالميل إلى الحرية، والسعي والتشوق لها من قبل الإنسان، سواء كان متعلماً، أم غير متعلم، هي حاجة فطرية، وميل فطري غرائزي، فطر عليه الإنسان بخلقته من قبل الله الخالق I، وتحتاج إلى إشباع

بأساليب وطرائق تربوية سليمة، وأن أساس هذه الفطرة هي الدين، والحاجة إلى الله، حيث يقول الله تعالى: [فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ] (الروم: 30)، ولذا كانت الرغبة في الحرية والسير نحوها موجودة عبر مراحل عمر الإنسان المختلفة، وعبر مراحل التاريخ الإنساني، دونما تميز بين جنس وآخر، أو ملة أو معتقد "فمقومات التحرر الوجداني ترسي قواعد المساواة الإنسانية"⁽³¹⁾.

فالطفل مثلاً يبدأ في البحث عن حريته لكشف المجهول، فيصدر منه أفعال وتصرفات وتساؤلات تعبر عن مدى حاجته للحرية والتعبير عنها، وهكذا تزداد وتيرة الشعور بالحاجة للحرية مع تقدم الإنسان في مراحل العمرية المختلفة، حتى يصل إلى مرحلة يجعل مصيره متوقفاً على حريته واختياره، مع التأكيد على وجوب التفرقة بين فطرة الحرية بين الإنسان والحيوان، التي أساسها العقل الذي هو مناط التكريم الإلهي، وما يترتب على ذلك من فروقات واضحة بين الحرية لدى الإنسان، والحرية لدى الحيوان، التي لا يتسع المقام هنا لسردها. ثانياً: أنها ضرورة فردية:

فالحرية هي أساس كل المبادئ والقيم التي تشكل الشخصية الإنسانية السوية المتزنة التي تتسم بالدفع العاطفي، والثقة بالنفس، والقدرة على الخلق والإبداع، والصبر والتحمل، والتواصل مع الآخرين بمنطق الحوار والتعاطي الإيجابي، شخصية ترفض العنف، والإرهاب، والتطرف مهما كانت الظروف والمبررات، ولذلك فهي -أيضاً- مهمة في النمو المتكامل لجميع أبعاد وجوانب المتعلم المتعددة، بحيث تعطي حرية للنمو لكل جانب وبشكل متوازن لا يطغ فيه جانب عن آخر، ومهمة -أيضاً- في تكون المنظومة الأخلاقية لدى الفرد المتعلم، وتأسيس البناء الأخلاقي له، بحيث يشعر بالعزة والكرامة والشجاعة والعفة، وغيرها من مكارم الأخلاق، ومهمة -أيضاً- في قدرة الفرد على الاختيار بين البدائل المتاحة؛ لتحقيق الخير والصالح، وتجنب مواطن الشر والخراب.

ثالثاً: أنها ضرورة اجتماعية:

فالحياة الاجتماعية قائمة على العلاقات التي تحددها معادلة الحقوق والالتزامات، وأن مقاصد الحرية هنا هو حفظ هذه الحقوق والالتزامات، وتضع حدوداً لها بحيث لا يسمح بتجاوزها، ولذلك فإن الحرية تعد عامل استقرار في دفع أطراف تلك المعادلة في تأدية مهامهم وأدوارهم ومسؤولياتهم بالشكل المطلوب والمتوازن، الذي يؤدي إلى تماسك الأسرة والمجتمع على حد سواء، وأنه لا حرية مطلقة في هذا المضمار؛ لأنه بذلك سيؤدي إلى تعدد للحدود والحقوق وتحلل من الالتزامات، الأمر الذي يفضي إلى فوضى وتمزق أسري واجتماعي، أضف إلى ذلك فإن للحرية حاجة في الجانب السياسي، والاقتصادي، والثقافي،

وغيرها من ميادين ومجالات الحياة الاجتماعية التي تبرز فيها الحرية كضرورة لبناء تلك المجالات وتطورها واستمرارها، بما يحقق السعادة والرفاهية والخير والصالح لهذا الإنسان في الحياة الدنيا والآخرة.

المطلب الثاني: ضوابط الحرية وحدودها في التربية:

لقد أكد الدين الإسلامي على الحريات الأساسية للفرد قبل الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي لم يصدر إلا في عام 1948 م، وجعل الحرية في ظل الشريعة الإسلامية مقيدة بغاية هي: عدم اتباع النفس الأمارة بالسوء، لقوله تعالى: [قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا] (الشمس: 9-10)، كما وضع لها قواعد وضوابط شرعية معتبرة تعزز من مكانتها وقيمتها لدى الإنسان، التي هي من خصائص المفهوم التربوي الإسلامي للحرية، والتي تنطلق من القاعدة الفقهية العامة المستنبطة من الحديث النبوي ((لا ضرر ولا ضرار))⁽³²⁾، والتي تحدد في جانبين رئيسين هما:

الفرع الأول: جانب عدم الإضرار بالنفس:

فإذا كانت الحرية حاجة فطرية وميل غرائزي في الإنسان ويحتاج إلى إشباعه، وأنها ضرورة فردية لبناء وتنمية الشخصية الإنسانية المتزنة بكل جوانبها وأبعادها التربوية، حتى تصل إلى مستوى عالٍ من الكمال التربوي المنشود؛ فإن هذا لا يعني أن يتم ذلك على حساب الإضرار بالنفس، فالطفل مثلاً، له حرية أن يلعب، ويلهو، ويشبع جميع رغباته، لكن ليس على حساب الإضرار بنفسه، فلا يترك للعب واللغو إذا تبين أن ذلك سيؤدي إلى الإضرار بجسمه أو صحته، أو حتى هلاكه، كما ينادي به أصحاب التربية الطبيعية.⁽³³⁾

وهذا ينسحب على الفرد البالغ فلا يترك له حرية الإضرار بنفسه، كشربه للخمر الذي سيؤدي به حتماً للهلاك، أو لعبه للقمار، أو التبذير والإسراف للمال، حيث يقول الله تعالى: [يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ] (الأعراف: 31)، أو الإقدام على الانتحار، حيث يقول الله سبحانه وتعالى: [وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ] (البقرة: 195)، وغيرها من مظاهر الحرية المطلقة التي تضر بالنفس.

الفرع الثاني: جانب الإضرار بالآخرين:

فكما أن الحرية هي حاجة وضرورة اجتماعية، فإنها في الوقت نفسه ليست مطلقة؛ بل مقيدة ومنضبطة بضوابط الشريعة الإسلامية، حيث إن حرية الفرد تنتهي عندما تبدأ حرية الآخرين، فليس من حق الفرد -وفي أي مرحلة من مراحل عمره-؛ بل ويمنع من حريته تلك إذا أصر على آرائه، وتصرفاته غير المشروعة، أو لم يراع أصول وقيم، وأعراف، ومقررات من حوله من أفراد المجتمع، أو استعمل القوة والعنف، أو قام بسلوك قد يثير الفتنة والفرقة، ويضر بعلاقات الآخرين.

فإذا وصل الفرد في استخدام حريته إلى الاستهانة بالمجتمع، ومبادئه وقيمه ومقدراته، ومقوماته، وجب منعه من ذلك؛ بل ويجب محاسبته على سوء استغلاله لحريته تلك، وهذا ما وجه إليه النبي P بقوله: ((مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرَكُوهُمْ وَمَا ارَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا، وَنَجَّوْا جَمِيعًا)) (34).

المبحث الثالث: مظاهر الحرية في التربية الإسلامية

تعدد مظاهر الحرية في التربية الإسلامية، بحيث تشمل كل الجوانب والأبعاد التربوية للمتعلم؛ بل كل عناصر العملية التربوية والتعليمية نفسها، ولكن نظرًا لضيق المقام هنا، فإن الباحث سيركز على أهم مظاهر الحرية في بعض الجوانب التربوية للمتعلم، التي من أهمها نذكر الآتي:

المطلب الأول: مظاهر الحرية في الجانب الفكري:

مما لا شك فيه أن الجانب الفكري للمتعلم يعد من أهم الجوانب التربوية التي تسعى التربية لتنميتها لدى المتعلم، ولذا فإن مظاهر الحرية فيه تتمثل في جانبين رئيسين هما:

الفرع الأول: حرية الفكر والتفكير:

ويقصد بها إطلاق ملكة العقل في البحث والنظر والتدبر، حيث تميز الإنسان عن سائر المخلوقات بالعقل المفكر القادر على الإبداع والإنتاج، وهذه خاصية جوهرية في الإنسان؛ لأنه بالعقل والفكر والتفكير يتهيأ لإدراك العلوم والنظر في المعلومات (35)، فالتفكير الحر السليم هو أساس فضيلة الإنسان، وكماله لا يظهر إلا بالعلوم والمعارف، فكلما تعلم الإنسان علمًا كلما ترقى درجة في سلم الحرية، كما أن حرية الفكر والتفكير تقتضي المنع من السلوكيات غير الأخلاقية، والزجر عن قبائح الأفعال؛ لأنه خير مرجع للهداية في ضمير الإنسان المفكر الواعي (36).

لذلك فالتدبر في القرآن الكريم، والسنة النبوية، يجد أنهما تحويان العديد من الآيات والأحاديث التي تدعو الإنسان إلى التدبر والتفكير، وعدم الجمود، وتلك سمة من سمات التربية الإسلامية التي يطلق عليها ديناميكية التفكير، ومن ذلك قوله تعالى: [أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا] (محمد: 24)، وقوله تعالى: [قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ] (الأنعام: جزء من الآية 50)، وقوله تعالى:

[وَمَا يَعْظُمُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ] (العنكبوت: جزء من الآية 43)، أي "ما يفهمها إلا العالمون بالله تعالى" (37)، ولا يعني هذا أن التربية الإسلامية تجبر الفرد على قبول ما يقال كمسلمة دون أعمال للفكر بحثاً وراء الحقيقة للوصول إلى اليقين، وهو ما تتشدد به التربية الحديثة بما يسعى التفكير العلمي ومناهج البحث، وفي ذلك يقول الله تعالى: [وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِمُتُؤْمِنُ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لَيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي] (البقرة: جزء من الآية 260).

ومن الشواهد التي تؤيد حرية الفكر والتفكير في التربية الإسلامية، أن الإسلام قد بنى دعوته على حرية العقل والفكر، ولا سبيل له في ذلك إلا الاقتناع، والحجة والبرهان، مراعيًا الفروق الفردية في الاجتهاد للوصول إلى اليقين. فإن أصاب الإنسان فذلك فضل من الله يؤتیه من يشاء، وإن أخطأ كان معذورًا ولا عقاب عليه؛ بل أكثر من هذا ما أكدته النبي ﷺ بقوله: ((إذا اجتهد فأصاب فله أجران، وإن اجتهد فأخطأ فله أجر)) (38).

ألا إن حرية الفكر والتفكير هذه لم يطلق لها العنان دون ضوابط أو قيود، فقد ضبطها الإسلام وقيدها بطلب الدليل أو البرهان الشرعي والقانوني، والمنطقي، بعد التثبت منه، وفي ذلك يقول الله تعالى: [قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ] (النمل: جزء من الآية 64).

الفرع الثاني: حرية الرأي والتعبير:

لقد عنى الإسلام عناية كبيرة وعظيمة بحرية الرأي والتعبير حتى لا يكون الإنسان تابعًا لغيره، ومن ثم يعلن رأيه بالطريقة التي يرتضيها، إذ كيف يطلق للفكر العنان ويشجع على البحث والاجتهاد للوصول إلى اليقين من خلال منافذ المعرفة على اختلاف أنواعها ولا يكفل حرية الرأي، وهي التي تؤدي إلى إظهار الحق وإزالة الشبهات؟!، فيقول الله تعالى: [وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ] (النحل: جزء من الآية 125)، وقوله تعالى: [وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ] (البقرة: 23)، ولا غرابة في ذلك فقد أرست دعوة الإسلام أساسين من أسسها ألا وهما: حرية المناقشة وإظهار الحق كوجهين لعملية واحدة وهي حرية الرأي، وفي هذا يقول الله تعالى: [لَيْسَ لَكَ مِنَ هَٰذَا شَيْءٌ يَنْتَهِ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيٍّ عَن بَيْنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ] (الأنفال: جزء من الآية 42)، وقوله تعالى: [وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءٍ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ] (الأنعام: 83).

ولا تنفك حرية الرأي والتعبير في الإسلام -كما ذكر سابقًا- إلا في الذات الإلهية حتى وإن كان من سيستخدم معه هذا الحق هو الرسول ﷺ، ولنا في واقعة امرأة أوس بن سعد خير دليل على ذلك، إذ يقول الله تعالى: [قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ] (المجادلة: 1).

كذلك لم يضع الإسلام حائلًا بين حرية الحاكم والمحكوم في إبداء أي منهما لرأيه؛ بل كفلها للجميع، وفي ذلك يقول النبي P: ((لا تكونوا إمعة، تقولون: إن أحسن الناس أحسنًا، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا أنفسكم، إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساءوا فلا تظلموا))⁽³⁹⁾، ولذا قيل: "لولا اعتبار حرية الأقوال لما كانت الإقرارات والعقود والالتزامات وصيغ الطلاق والوصايا مؤثرة آثارها، ولذلك يسلب عنها التأثير متى تحقق أنها صدرت حالة الإكراه"⁽⁴⁰⁾.

ولا يعني هذا إطلاق حرية الرأي والتعبير في الإسلام أن للإنسان مطلق الحرية في أن يستخدم هذا الحق أو لا يستخدمه، لكن الإسلام حذر من اللامبالاة أو السلبية وعدم الجهر بالرأي والقول السديد، والنصيحة الصادقة، اقتضاء بقوله تعالى: [وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ] (آل عمران: 104)، ويقول النبي P: ((والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله يبعث عليكم عذابًا منه ثم تدعونه فلا يستجيب لكم))⁽⁴¹⁾.

كما لا يعني إطلاق حرية الرأي والتعبير في الإسلام أنها مطلقة بدون ضوابط؛ حيث إن ذلك يعني الدعوة للفتنة والفوضى، ولهذا وضع الإسلام لحرية الرأي والتعبير حدودًا وضوابط حتى يكون هناك تقرير لما يجب أن يكون عليه الحوار والنقاش من احترام وأداب وهدوء، وفي ذلك يقول الله تعالى: {قُولُوا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى} (طه: 44)، ويقول تعالى: {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا} (الفرقان: 63).

كما لا تعني حرية الرأي والتعبير في الإسلام أن نجادل من أجل المجادلة، ومن دون هدف من ذلك الحوار أو النقاش، حيث يقول النبي P: ((ما ضلَّ قومٌ بعدَ هُدًى كانوا عليه إلا أوتوا الجدلَ))، ثم تلا رسول الله P هذه الآية [مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ] (الزخرف: 58)⁽⁴²⁾.

المطلب الثاني: مظاهر الحرية في الجانب الأكاديمي:

يعد الجانب الأكاديمي والتعليمي من الجوانب المهمة التي تسعى -أيضًا- التربية لبنائه وتنميته لدى المتعلم، ولذا فإن مظاهر الحرية فيه تتمثل في جانبين رئيسين هما:

الفرع الأول: حرية المعرفة والبحث العلمي:

لقد حث الإسلام في أكثر من مناسبة، وموقف على حرية المعرفة والبحث العلمي تقديرًا منه لقيمة العقل، وذلك للوقوف بقدر المستطاع على العلوم التي تعين على رقي الإنسان ورفاهيته وسعادته، وبناء المجتمع على حد سواء، نذكر من ذلك قوله تعالى: [قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ] (يونس: 101)، ولئن كانت التربية الحديثة تتشدد بفائدة الوسائل التعليمية،

حيث تكون الرؤية والسمع مصدرين أساسيين للتعلم فليبنظروا إلى آية واحدة تجمع بين المعرفة العقلية والرؤية والسمع، إذ يقول الله تعالى: [وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ] (الأعراف: 179).

كما أن الإسلام قد وجه إلى الاستزادة بالمعرفة وعدم التوقف، وأن هذه الاستزادة بالمعرفة متجددة لا ترتبط بزمان أو بمكان، وهي ما يعبر عنه بالتربية الحديثة بعملية النمو المستمر، إلا فيما يتعلق بالذات الإلهية، وفي ذلك يقول الله تعالى: [وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا] (طه: جزء من الآية 114)، وقوله تعالى: [وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عِلْمٌ] (يوسف: جزء من الآية 76)، وقوله تعالى: [وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا] (الإسراء: جزء من الآية 85)، ولا حدود للبحث هنا -كما ذكر سابقاً- إلا فيما يتعلق بالذات الإلهية.

وهنا تتجلى سماحة التربية الإسلامية ومدى حريتها حتى بالنسبة للتعاظمي مع هدي المربي الأول الرسول الكريم ﷺ فما صدر منه على أنه رأيًا وليس وحي إلهي جاز فيه الاجتهاد وحرية البحث طالما يتعلق بالأمور الدنيوية من صناعة أو زراعة، أو ما شابه ذلك من علوم تعتمد على البحث، وكل ما يرد فيها من نهي أو أمر هو بمثابة إرشاد لا تشريع جاز فيه الاجتهاد، وفي قصة القوم الذين مر بهم النبي ﷺ بالمدينة وهم يؤثرون النخل فقال لهم النبي ﷺ: ((لو لم يفعلوا لصلح))، فلم يؤثروا عامئذٍ فصارت شيصًا فذكروا للنبي ﷺ وسلم فقال لهم: ((إن كان شيئًا من أمر دنياكم فشأنكم به وإن كان من أمر دينكم فإليَّ))⁽⁴³⁾، وقوله ﷺ: ((إنما أنا بشر، إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به، وإذا أمرتكم بشيء من رأيي، فإنما أنا بشر))⁽⁴⁴⁾، ومع هذا "فالإنسان ليس مخولًا أن يتحرك بهواه، الذي كثيرًا ما يجمع إلى الفساد أو باجتهاد منفصل عن توجهات الله تعالى الذي استخلفه واسترعا؛ بل يكون في كل منشط مادي أو معنوي متجهًا إلى الله تعالى يستجلي مراده ويتحرره، وابتغي مرضاته، وبهذا تكون حرية الإنسان على الأرض في كل اتجاهاتها الفردية والجماعية، المادية والمعنوية، حركة عبادة لله تعالى"⁽⁴⁵⁾.

الفرع الثاني: حرية العلم والتعلم:

ولنا أن نتساءل من أين يتأتى للإنسان حرية المعرفة وحرية الفكر والبحث العلمي وهو أمي؟! أهى الصدفة! كلا، وحاشا لله، فالرد على هذا يتجلى في عظمة الإسلام في أول ما أنزل الله تعالى في محكم التنزيل على النبي الأمي محمد ﷺ، إذ كان أول شيء بدأ به الأمر بالقراءة التي تعتبر المنفذ الأساس للعلم، يقول الله تعالى: [اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ] {العلق 3} الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ] (العلق: 1-5)، ولا غرابة في دين يتسم بهذه السماحة أن يطلق العنان للبحث

دون أن يطلق الحرية للإنسان لينهل العلم الذي لا حدود له، ولا وطن، وفي ذلك يقول النبي P: ((الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ، فَحَيْثُ وَجَدَهَا فَهُوَ أَحَقُّ بِهَا)) (46).

ولقد قدر الإسلام العلم والعلماء، فيقول الله تعالى: [يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ] (المجادلة: جزء من الآية 11)، وقوله تعالى: [قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَئِكَ الْأَلْبَابِ] (الزمر: جزء من الآية 9)، ويقول النبي P: ((مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ..)) (47).

خاتمة:

وقد توصلت الدراسة في هذه الخاتمة إلى أهم الاستنتاجات والتوصيات، وهي على النحو الآتي:

أولاً: الاستنتاجات:

1. إن الحرية أعظم نعمة منحها الله Y للإنسان بعد نعمة الإيمان والتوحيد الخالص لله Y، وإحدى مقاصد الشريعة الإسلامية السمحة، وليست وليدة لفلسفات تربوية وضعية غربية.
2. إن الحرية بمفهومها التربوي الإسلامي ليست مجرد حق من الحقوق كما يفهمها بعض الناس؛ بل هي ضرورة من ضروريات الحياة، وهي تكليف شرعي واجب التنفيذ.
3. إن عدم الفهم والإدراك الصحيح للمفهوم التربوي الإسلامي لحرية قد أدى إلى سيادة المفهوم الوضعي الغربي المنفلت الذي نتج عنه من امتهان لكرامة الإنسان وإنسانيته، وكيونته.
4. إن سيادة المفهوم الوضعي المنفلت للحرية قد ساهم في انتشار حالة التعالي للثقافة الغربية، ووصول أنظمتها إلى غزو بلدان العالم بدعوى الدفاع عن الحرية، ونشرها وحميائها.
5. إن عدم الفهم والإدراك الصحيح للمفهوم التربوي الإسلامي للحرية، قد ساهم في سيادة المفهوم المتطرف المستبد، وما نتج عنه من ظلم وقهر واستبداد، وفساد طال العباد والبلاد.
6. إن عدم فهم وإدراك حدود وضوابط الحرية قد أدى إلى شيوع ثقافة التعدي على الآخرين، ومصادرة حقوقهم، وعدم الوفاء بالالتزامات والتعهدات وتآدية الأمانات التي تقع على عاتق الفرد.
7. إن الخلل الذي أصاب مفهوم الحرية في المجتمعات المسلمة قد أدى إلى شيوع ثقافة العنف والتطرف والإرهاب، وعدم القبول بالآخر؛ بل واستباحة دمه وماله وعرضه.

8. إن غياب المفهوم التربوي الإسلامي لقيمة الحرية في مؤسسات التربية والتعليم في معظم البلدان العربية والإسلامية قد جوف تلك المؤسسات التربوية من مقاصدها، وأهدافها، وأصبحت بيئة ترسخ مفاهيم الظلم والقهر والاستبداد، والأنانية، وغيرها من مساوئ الأخلاق.
9. إن عجز تلك المؤسسات التربوية، وعدم قدرتها على تبني مناخ وبيئة تسودها مفاهيم وممارسات الحرية المنضبطة، قد ساهمت في بناء شخصية مضطربة، اتكالية، فاقدة الثقة والقدرة على الابداع، وعلو الهمة، والشعور بالمسؤولية.
10. إن عجز تلك المؤسسات التربوية والتعليمية وعدم قدرتها على تبني مناخ وبيئة تسودها مفاهيم وممارسات الحرية المنضبطة قد ساهمت في ترسيخ مظاهر الجمود والتخلف العملي والمعرفي، وتدني مستوى التفكير لدى الفرد المتعلم.
11. إن عجز تلك المؤسسات التربوية والتعليمية وعدم قدرتها على تبني مناخ وبيئة تسودها مفاهيم وممارسات الحرية المنضبطة قد كان له الأثر في بروز شخصية مطواعة عديمة الرأي، قابلة للتعايش مع مترفي ومستبدي وطواغيت الأرض الذين يتولون شؤون الأمة.

ثانيًا: التوصيات:

في ضوء تلك الاستنتاجات، توصي الدراسة بالآتي:

1. ضرورة العودة إلى مصادر الوحي الإلهي عند بناء تلك المفاهيم والمضامين التربوية في مناهج التربية في الأنظمة التربوية والتعليمية.
2. ضرورة توفير المناخ والبيئة التي يسودها جو من مفاهيم وممارسات الحرية المنضبطة في مؤسسات التربية والتعليم، مثل: الحوار، والنقاش الهادئ والهادف الذي يعزز الثقة بالنفس وقبول الآخر لدى المتعلم.
3. ضرورة استخدام الأساليب والطرائق التربوية التي تشجع المتعلم على إبداء الرأي والقدرة على التعبير، والتفكير الناقد، دون خوف أو قيود لذلك، وفي حدود المسموح به شرعًا وأخلاقيًا.
4. ضرورة تبني سياسات تربوية وتعليمية تشجع على التعاطي والتعامل مع مفاهيم وممارسات الحرية المنضبطة في جميع مناهج وأنشطة العملية التربوية والتعليمية.
5. ضرورة تعويد الفرد منذ الصغر على ممارسة الحرية في حدودها وضوابطها الشرعية، وتشجيعه على ذلك، وهذا يبدأ من الأسرة.
6. ضرورة مواجهة مظاهر المفاهيم والممارسات للحرية المنفلتة، التي تغللت في المناهج التربوية والتعليمية، والتي ساهمت في حالة التفسخ الأخلاقي، والتمرد عن التكاليف الشرعية، والانبهار بالثقافة والحضارة الغربية، والتنكر لتعاليم الدين الإسلامي الأصيل.

7. ضرورة إقامة المؤتمرات والندوات والمحاضرات التي ترسخ المفهوم العلمي المنضبط للحرية في مختلف المؤسسات التربوية والثقافية والإعلامية.

الهوامش:

- (1) الخميس، أحمد خميس محمد (2023)، الحرية وتطبيقاتها التربوية بين أفلاطون وروسو، مجلة كلية التربية، المجلد (10)، العدد (4)، جامعة الحديدة، 686-716.
- (2) الغامدي، وفاء بنت أحمد عياض (2021)، مفهوم الحرية الشخصية لدى طالبات جامعة أم القرى في ضوء المتغيرات المعاصرة، المجلة التربوية بجامعة سوهاج، الجزء (2)، العدد (81)، 82-432.
- (3) بلق، عفاف مصباح (2019)، مفهوم الحرية في الفكر الإسلامي، مجلة كلية التربية، العدد (16)، 349-374.
- (4) ابن حديد، عبدالدائم؛ وإلغات، ربيعة (2018)، الحرية الدينية في الإسلام مصادرها ومبادئها، مجلة روافد للبحوث والدراسات، ع (4)، 223-244.
- (5) كيري، غنية (2017)، مبدأ الحرية بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد (10)، 123-169.
- (6) الترهوني، والعبار، رمضان سعيد كريم؛ والعبار، ابتسام علي حمزة (2015)، مفهوم الحرية الأكاديمية من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس بجامعة بني غازي، مجلة كلية التربية، العدد (1)، 27-58.
- (7) الزاعبي، عبدالله بن علي بن طاهري (2011)، مفهوم الحرية من منظور التربية الإسلامية والفلسفة البراغماتية، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم أصول التربية الإسلامية والمقارنة، كلية التربية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية.
- (8) الزحيلي، محمد (2011)، الحرية الدينية في الشريعة الإسلامية أبعاده وضوابطها، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد (27)، العدد (1)، 369-413.
- (9) أبو سليمان، عبدالحميد أحمد (1994)، أزمة العقل المسلم، الرياض: الدار العالمية للكتاب الإسلامي، ص 49.
- (10) عدس، محمد عبدالرحيم (1999)، واقعنا التربوي إلى أين، الأردن: دار الفكر، ص 12.
- (11) حسنة، عمر عبيد (2010)، مقدمة في كتاب "الحرية وتطبيقاتها في الفقه الإسلامي"، سلسلة كتاب الأمة، العدد (138)، قطر: إدارة البحوث والدراسات الإسلامية، ص 18.
- (12) العساف، صالح بن حمد (1995)، المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية، الرياض: مكتبة العبيكان، ص 204.
- (13) ناصر، إبراهيم (2001)، فلسفات التربية، الأردن: دار وائل، ص 298.
- (14) أبو سمعان، محمد عطا (2011)، منزلة الإنسان ووجوده في المذاهب المعاصرة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، ص 75.
- (15) كرم، يوسف بطرس (د.ت)، تاريخ الفلسفة الحديثة، بيروت: مكتبة الدراسات الفلسفية، ص 475.
- (16) الميسري، عبدالوهاب (2010)، قضية المرأة بن التحرير والتمركز حول الأنثى، القاهرة: مكتبة نهضة مصر، ص 4-5.
- (17) وهذا ما أكدته أركون، محمد (2011)، الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، ترجمة هاشم صالح، بيروت: دار الساق، ص 265.
- (18) قاضي، علي (2004)، حدود الحرية في التربية، بيروت: دار النبلاء، ص 22.
- (19) الجابري، محمد عابد (2001)، نقد العقل الأخلاقي العربي، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ص 81.
- (20) ابن فارس، أحمد بن زكريا القزويني (1979)، مقاييس اللغة، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، دمشق: دار الفكر، 6/2.

- (21) ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (د.ت)، لسان العرب، بيروت: دار صادر، 181-178/4؛ والجوهري، إسماعيل بن حماد (1987)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، بيروت: دار العلم للملايين، 628/2.
- (22) عبد الباقي، محمد فؤاد (1992)، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، بيروت: دار المعرفة، ص250.
- (23) النسفي، عبدالله بن أحمد بن محمود (د.ت)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، بيروت: دار الفكر، 233/1.
- (24) عمارة، محمد (2009)، مفهوم الحرية في مذاهب الإسلاميين، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ص8.
- (25) إبراهيم، زكريا (1963)، مشكلة الحرية، القاهرة: دار مصر للطباعة، ص18.
- (26) طبلية، القطب محمد القطب (1984)، الإسلام وحقوق الإنسان، القاهرة: دار الفكر العربي، ص296.
- (27) الفاسي، علال (1993)، مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، المغرب: دار الغرب الإسلامي، ص284.
- (28) عبدالرحمن، طه (2012)، سؤال العمل، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ص153.
- (29) غرابية، رحيل محمد (2000)، الحقوق والحرريات السياسية في الشريعة الإسلامية، عمان: دار المنار للنشر، ص41.
- (30) ابن ماجه، محمد بن يزيد (1420هـ)، سنن ابن ماجه، الرياض: دار السلام، حديث رقم 2045.
- (31) الجابري، محمد عابد (2006)، الأصولية الإسلامية العربية بين النص الثابت والواقع المتغير، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ص239.
- (32) ابن ماجه، محمد بن يزيد (1420هـ)، سنن ابن ماجه، مرجع سابق، حديث رقم 2340.
- (33) لمزيد من التفصيل حول هذا الموضوع، يراجع: زيادة، مصطفى عبالقادر وآخرون (2003)، الفكر التربوي مدارسه واتجاهات تطوره، الرياض: مكتبة الرشد، 207-197.
- (34) البخاري، محمد بن إسماعيل (1417هـ)، صحيح البخاري، الرياض: دار السلام، حديث رقم 2493.
- (35) أبو حامد الغزالي، محمد بن محمد (1997)، المستصفى من علم أصول الفقه، تحقيق محمد سليمان الأشقر، بيروت: مؤسسة الرسالة.
- (36) العقاد، عباس محمود (د.ت)، التفكير فريضة إسلامية، بيروت: المكتبة العصرية، ص10.
- (37) القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر (1996)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق عبدالله بن عبدالمحسن التركي، بيروت: مؤسسة الرسالة، 365/16.
- (38) أبو داود، سليمان بن الأشعث (1420هـ)، سنن أبي داود، الرياض: دار السلام، حديث رقم 3574.
- (39) الترمذي، محمد بن عيسى (1421هـ)، جامع الترمذي، الرياض: دار السلام، حديث رقم 2007.
- (40) ابن عاشور، محمد الطاهر (2001)، مقاصد الشريعة الإسلامية، تحقيق محمد الطاهر الميساوي، الأردن: دار النفائس، ص393.
- (41) الترمذي، محمد بن عيسى (1421هـ)، جامع الترمذي، مرجع سابق، حديث رقم 2169.
- (42) المرجع السابق نفسه، حديث رقم 3253.
- (43) ابن ماجه، محمد بن يزيد (1420هـ)، سنن ابن ماجه، مرجع سابق، حديث رقم 2471.
- (44) مسلم، مسلم بن الحجاج (1422هـ)، صحيح مسلم، الرياض: مكتبة الرشد، حديث رقم 2362.
- (45) الخطيب، محمد عبدالفتاح (1431هـ)، قيم الإسلام الحضارية، كتاب الأمة، العدد 139، قطر: إدارة البحوث والدراسات، ص37.
- (46) ابن ماجه، محمد بن يزيد (1420هـ)، سنن ابن ماجه، مرجع سابق، حديث رقم 4169.
- (47) الترمذي، محمد بن عيسى (1421هـ)، جامع الترمذي، مرجع سابق، حديث رقم 2682.

المراجع:

القرآن الكريم

1. إبراهيم، زكريا (1963)، مشكلة الحرية، القاهرة: دار مصر للطباعة.
2. ابن حديد، عبدالدائم؛ وإلغات، ربيحة (2018)، الحرية الدينية في الإسلام مصادرها ومبادئها، مجلة روافد للبحوث والدراسات، ع (4)، 223-244.
3. ابن عاشور، محمد الطاهر (2001)، مقاصد الشريعة الإسلامية، تحقيق محمد الطاهر الميساوي، الأردن: دار النفائس.
4. ابن فارس، أحمد بن زكريا القزويني (1979)، مقاييس اللغة، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، دمشق: دار الفكر.
5. ابن ماجه، محمد بن يزيد (1420هـ)، سنن ابن ماجه، الرياض: دار السلام.
6. ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (د.ت)، لسان العرب، بيروت: دار صادر.
7. أبو حامد الغزالي، محمد بن محمد (1997)، المستصفى من علم أصول الفقه، تحقيق محمد سليمان الأشقر، بيروت: مؤسسة الرسالة.
8. أبو داود، سليمان بن الأشعث (1420هـ)، سنن أبي داود، الرياض: دار السلام.
9. أبو سليمان، عبدالحميد أحمد (1994)، أزمة العقل المسلم، الرياض: الدار العالمية للكتاب الإسلامي.
10. أبو سمعان، محمد عطا (2011)، منزلة الإنسان ووجوده في المذاهب المعاصرة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية، غزة.
11. أركون، محمد (2011)، الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، ترجمة هاشم صالح، بيروت: دار الساقى.
12. البخاري، محمد بن إسماعيل (1417هـ)، صحيح البخاري، الرياض: دار السلام.
13. بلقي، عفاف مصباح (2019)، مفهوم الحرية في الفكر الإسلامي، مجلة كلية التربية، العدد (16)، 349-374.
14. الترمذي، محمد بن عيسى (1421هـ)، جامع الترمذي، الرياض: دار السلام.
15. الترهوني، رمضان سعيد كريم؛ والعبار، ابتسام علي حمزة (2015)، مفهوم الحرية الأكاديمية من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس بجامعة بني غازي، مجلة كلية التربية، العدد (1)، 27-58.
16. الجابري، محمد عابد (2001)، نقد العقل الأخلاقي العربي، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
17. الجابري، محمد عابد (2006)، الأصولية الإسلامية العربية بين النص الثابت والواقع المتغير، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
18. الجوهري، إسماعيل بن حماد (1987)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، بيروت: دار العلم للملايين.
19. حسنه، عمر عبيد (2010)، مقدمة في كتاب "الحرية وتطبيقاتها في الفقه الإسلامي"، سلسلة كتاب الأمة، العدد (138)، قطر: إدارة البحوث والدراسات الإسلامية.
20. الخطيب، محمد عبدالفتاح (1431هـ)، قيم الإسلام الحضارية، كتاب الأمة، العدد 139، قطر: إدارة البحوث والدراسات.
21. الخميس، أحمد خميس محمد (2023)، الحرية وتطبيقاتها التربوية بين أفلاطون وروسو، مجلة كلية التربية، المجلد (10)، العدد (4)، جامعة الجديدة، 686-716.
22. الزايعي، عبدالله بن علي بن طاهري (2011)، مفهوم الحرية من منظور التربية الإسلامية والفلسفة البراغماتية، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم أصول التربية الإسلامية والمقارنة، كلية التربية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية.
23. الزحيلي، محمد (2011)، الحرية الدينية في الشريعة الإسلامية أبعاده وضوابطها، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد (27)، العدد (1)، 369-413.
24. زيادة، مصطفى عبدالقادر وآخرون (2003)، الفكر التربوي مدارسه واتجاهات تطوره، الرياض: مكتبة الرشد.
25. طبلية، القطب محمد القطب (1984)، الإسلام وحقوق الإنسان، القاهرة: دار الفكر العربي.

26. عبد الباقي، محمد فؤاد (1992)، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، بيروت: دار المعرفة.
27. عبد الرحمن، طه (2012)، سؤال العمل، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
28. عدس، محمد عبد الرحيم (1999)، واقعنا التربوي إلى أين، الأردن: دار الفكر.
29. العساف، صالح بن حمد (1995)، المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية، الرياض: مكتبة العبيكان.
30. العقاد، عباس محمود (د.ت)، التفكير فريضة إسلامية، بيروت: المكتبة العصرية.
31. عمارة، محمد (2009)، مفهوم الحرية في مذاهب الإسلاميين، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية.
32. الغامدي، وفاء بنت أحمد عياض (2021)، مفهوم الحرية الشخصية لدى طالبات جامعة أم القرى في ضوء المتغيرات المعاصرة، المجلة التربوية بجامعة سوهاج، الجزء (2)، ال عدد (81)، 82-432.
33. غرابية، رحيل محمد (2000)، الحقوق والحرريات السياسية في الشريعة الإسلامية، عمان: دار المنار للنشر.
34. الفاسي، علال (1993)، مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، المغرب: دار الغرب الإسلامي.
35. قاضي، علي (2004)، حدود الحرية في التربية، بيروت: دار النبلاء.
36. القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر (1996)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق عبدالله بن عبدالمحسن التركي، بيروت: مؤسسة الرسالة.
37. كرم، يوسف بطرس (د.ت)، تاريخ الفلسفة الحديثة، بيروت: مكتبة الدراسات الفلسفية.
38. كبري، غنية (2017)، مبدأ الحرية بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد (10)، 123-169.
39. مسلم، مسلم بن الحجاج (1422هـ)، صحيح مسلم، الرياض: مكتبة الرشد.
40. الميسري، عبد الوهاب (2010)، قضية المرأة بن التحرير والتمركز حول الأنثى، القاهرة: مكتبة نهضة مصر.
41. ناصر، إبراهيم (2001)، فلسفات التربية، الأردن: دار وائل.
42. النسفي، عبدالله بن أحمد بن محمود (د.ت)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، بيروت: دار الفكر.